

## ﴿ استنهاض همم ﴾

(١٥)

ليس الشأن كل الشأن في استقلال الامة الاداري ومستقبلها السياسي فقط فان هذا وان كان مطمح كل قيل وضالة ينشدها كل شئب وغاية تزاخيم في الاشراف عليها الامم لكن وراءه مزية دونها كل المزايا . نسبة تلك المزية الى الامة كنسبة الحياة للشخص هل يقوم المرء بدون حياة ؟ فكذا الامة لا تقوم بدون تلك المزية . اذا تقلصت الحياة عن هيكل الشخص عاد جماداً أو كان الجماد خيراً منه الجماد يقاوي الفواعل الطبيعية ويصايرها أما الشخص بسد زوال حياته فلا بقاء له بل تلاعب به تلك الفواعل وتحلل عناصره وتمحو وجوده كذلك الامة اذا فقدت تلك المزية تسلط عليها الفناء وانعمست بالعدم . اذا نقت المرء روحه (\*) لا يلبث حتى تتحلل دقائق جسمه وتفرق عناصرها فيتناو لها ما احاط به من المكونات وتدخل في بني ( جمع بنية ) الاجسام الاخر وهذا شأن الامة اذا زابتها تلك المزية انقصت عرى هيئتها وعادت افراداً متبددة تدخل في تراكيب بقية المجتمعات البشرية وتتحد بعناصر الفاتحين والمتغلبين وتلتحم باجناسهم . مزية هذا شأنها لا تعذر الامة اذا تهاملت في احتفاظها وتواكلت في توفيرها والذب عنها اي شخص لا يستमित في الذب عن حياته ؟ اي شخص لا يستبسل في الدفاع عن روحه ؟ من يرى شخصاً يعرض نفسه للتهلكة ويحاطر بحياته ولا يحكم بانه مختاط أو لا يسجل عليه بالجئون ؟

لا جرم ان استقلال الامة الجنسي هو حياتها وبدونه لم تكن الامة امة . الاستقلال الجنسي مناطه اللغة والدين فكل امة حافظت على لغتها واستمسكت بدينها كان لها ان تآمن على جنسيتها من الضياع . وكل امة عرضت لغتها لازوال ودينها للابتذال فبشرها بانطفاء على جنسيتها قليلاً قليلاً وانعماسها في غمار الامم شيئاً فشيئاً . الاستقلال السياسي هو ان تحكم الامة نفسها بنفسها والاستقلال الجنسي هو ان تحافظ على لغتها ودينها . اذا فقد القيل

(\*) فسر الكاتب نقت بتفخ وما رأيت هذا الحرف مستعملاً بهذا المعنى ومن معاني

نقت رمي الشيء من فقه وهو اليق هنا

استقلاله السياسي كأهالي الجزائر مثلاً كان عليه ان يصون استقلاله الجنسي والالم يمض عليه قرون حتى يتحول جنسه الى جنس الامة الغالبة ويدغم فيها ويسبك معها في قالب واحد . لتجهدها الامة المغلوبة في تسمية جنسها وتقوية حياته كي لا ينفعل بفعل جنس الامة الغالبة ويتضاءل امام مساورته ومغالته فيتحول اليه ويمتزج بعناصره ويدخل في تصكوينه . اذا سدك الحيوان (لبت ولزم) ارض ملاحه وافترش معدنها المالحى زمناً طويلاً بقي له هيئته الحيوانية مادامت فيه حياة فاذا زالت حياته يقوى حينئذ عنصر المالح على جسمه وينقلب على مواده وعناصره ويحول كل ذلك الى عنصر المالحى ويصير ذلك الحيوان جرماً معدنياً بعد ان كان جسماً آلياً . هذا اجلى مثال نضربه للامة التي تحافظ على حياة جنسها والامة التي تهمل ذلك او تقصر فيه . اذا تغلبت امة على اخرى وابرزت استقلالها السياسي وملكتم عليها امرها كانت كمن استرق الآخرو حجر عليه اما اذا عملت في ضعفة دينها واستتصال لغتها لتتوصل بذلك الى محو جنسيتها كانت كمن يقتل الآخرو يسلبه حياته . اذا فرط المرء بحريته وتوانى في صيانتها حتى اختاسها العدو واستعبدها فالاحجى به حينئذ ان يجهد في حفظ حياته وتنمية قواها لعله يتوصل به يوماً ما لاسترداد حريته ومعاودة استقلاله . وما أشد حقه لو فرط في الحياة أيضاً ومكن العدو من الصيال عليها واعفاء أثرها . اذا زالت حياة الانسان لا يمكنه استرجاعها بله استرجاع حريته . لا جرم ان يكون مثل الامة التي تتوانى في حفظ جنسيتها كمثل ذلك الاحق الذي يلقي نفسه في الهلكة ويمرض حياته للخطر وبالجملة يجب على الامة صيانة جنسيتها وبذل اقصى الجهد في مقاومة الممرض لثلمها كما يجب على الشخص ان يتذرع بكل ماله من الوسائل لحفظ حياته ولو يبذل حياته . نعم ان الكريم يموت حراً ولا يموت صبراً

وإذا لم يكن من الموت يد فمن الموت المعجز ان تموت جباناً  
الفرنسيون في الازاس واللورين يقولون غلواً كبيراً في حفظ جنسيتهم الفرنسية كما  
هو شنشنة الالمانين في البلاد النمساوية مع ان وراء كل قيل منهما امة موطدة الاركان  
ودولة مشيدة البنيان . تعمل كل من تلك الامتين في تأييد جنسيتها والبأس رداً لها لكل من  
تصل اليه يدها فكم هو خليق بالمسلمين ان يجتهدوا في حفظ جنسيتهم ويعملوا في توثيق

عري دينهم وتمديد سرادقات لغتهم وليس لهم من الحكومات حكومة ثابتة الاساس عامة على نشر الدين وحمايته وصيانة اللغة العربية من الضياع والاضمحلال . لعمرى ان اوجب مايجب عليهم ان يتفانوا في صيانة جنسياتهم وبتقحموا المخاطر في سبيل حفظ دينهم ولغتهم والا غشيتهم من الطمطممانية ظلم وتلاطمت فوقهم امواج العدم والعياذ بالله

فرنسويو الالزاس والاورين لوا كرهوا على التجرد من الجنسية الفرنسية والاصطباغ بالصيغة الالمانية لاستحبوا الموت وتجرعوا كأسه دون ما كرهوا عايشه مع انهم لو تجلبوا بالجنسية الالمانية كان لهم بعض التسلية والعزاء لانهم يعلمون ان الجنسية الفرنسية لها رجال على ضفاف السين يخدمونها خدمة العبد الامين لسيدته . يعلمون ان الجنسية الفرنسية تتألق شمسها في ربوع فرنسا تألق شمس الضحى في سماءها لا يعترى تلك افول أو تكور هذه وتنسأخ عن اضوائها . يعلمون ان الجنسية الفرنسية تبعث اشعتها من فرنسا وتمتد الى كثير من أطراف المعمور وتخلل في ظلمات افريقيا الغربية يعتقدون انها عجايب قليل تحول ليلها نهاراً وغياها ليلانواراً

هذا شأن القول في الحمس الوطني والغيرة على الجنس . ترى ماذا يجب ان يكون شأن احد الشعوب الاسلامية لو عدا عاد على جنسيته وطول مسها والعبث بها ؟ اما يجب عليه ان ان ياتهب ويتبخر تامور قلبه (دمه) حمية في الدفاع عنها وصيانة استقلالها وهو يعلم ان كل قبيل من بني جنسه معرض مثله لضياع الجنس وفساد اللغة وليس ثمة دولة حية تعمل في تنمية الحياة الاسلامية وتقوية جنسيتها الدينية واللغوية . فقد تبين للسائل الآن ان العمل والجد في الاصلاح لا مندوحة عنه ولا هوادة فيه وهو واجب متعين على كل من له قدرة على العمل سواء سلم للامة استقلالها السياسي والاداري أو لم يسلم لها شيء من ذلك كما في البلاد التي ملكت عليها امرها الاجنبي . فكل جماعات الامة يلزمها النظر في الاصلاح لتحفظ جنسها وتصون دينها كي يتسنى لها فيما بعد التفتت من احبولة الاستعمار والانطلاق من مطمورة الرق والعبودية

